محاضرة حول: التناول النسقي في المحيط المدرسي

النهج النسقي المدرسي

تشير هذه النظرية إلى أن مجموعة من أجزاء النسق تتفاعل لتحقيق أهداف محددة، عند تطبيقها على المحيط المدرسي، تفترض هذه النظرية أن المستويات المختلفة لنظام التعليم، المدرسة، التعليم العالي، والفصول الدراسية المرتبطة بها. يجب أن تعمل معًا لتحقيق أهداف تعليمية منهجية. وإذا لم تتحقق هذه الأهداف في أي نظام تعليمي، فسيكون من غير الحكمة إلقاء اللوم بالكامل على أي من المستويات. وبدلا من ذلك، ينبغي إجراء تحليل منهجي لنظام التعليم برمته للتأكد من مصدر المشكلة. وقد يساعد هذا التحليل في إيجاد طرق فعالة لتحقيق وتحسين نوعية التعليم. وينبغي استكشاف المشاكل في أي نظام تحليليا مع جميع المتضررين منها.

إن النظر في التعليم للمدارس ككيان منفصل عن نظام التعليم بأكمله قد لا يساعدنا على فهم العوامل المتفاعلة المختلفة وحلقات التغذية الراجعة التي قد تؤثر على تحقيق جودة التعليم. وعلاوة على ذلك، فإن التغييرات على مستوى تنظيمي واحد في نظام التعليم قد تؤثر على المستويات الأخرى أو النظام بأكمله.

لا شك أن النسق المدرسي معقدٌ ومتشابك ومتكاملٌ للتعليم والتعلم على مختلف المستويات وفي سياقاتٍ متنوعة. وفي الخطاب التعليمي الأكاديمي العام، تُعبّر الحاجةُ باستمرارٍ إلى البحث عن أساليب تدريس وتعلم حديثة، لتمكين المؤسسات التعليمية من الاستجابة بشكلٍ أفضل للاحتياجات التعليمية المتغيرة للمتعلمين والمجتمع.

إن المعرفة المعقدة بأنظمة التعليم (والتعليم كنسق) تضمن تغييراتٍ تعليميةً فعّالة فيها. وإذا كنا نتحدث عن المعرفة العلمية بالظواهر التعليمية، فلا بد أن يكون الأمر كذلك. وبناءً على هذا المنظور، يمكن تسمية معظم الظواهر والعمليات التعليمية بأنظمة. ووفقًا لمورين (2014)، فإن حل مشكلة التعقيد يعني مواجهة مفاهيم أُهملت علميًا لفترةٍ طويلة. "عملية التعليم والتدريس هما ببساطة نظامان معقدان يتضمنان العديد من العناصر المترابطة، ويتأثران بعوامل خارجيةٍ أكثر".

ينقسم كل نظام معقد إلى أنظمة فرعية ومكوناتها. وينقسم النظام التعليمي، كنظام اجتماعي، إلى أجزاء وعناصر محددة، وصولاً إلى أصغر هياكل تؤدي وظائف محددة. من هذا المنظور، يُعد النظام المعقد هيكلاً متعدد المستويات.

يلعب مبدأ النظام دورًا مهمًا – وهو مبدأ منهجي لتحليل الظواهر. لذلك، فإن إحدى أهم مهام علم النسق هي التمييز بين الخصائص الثابتة للأشياء، مثل الخصائص والعلامات والخصائص المميزة والوظائف والعلاقات، وما إلى ذلك. يُشير منظرو نظرية النسق (النظامية) إلى أن النظامية هي نهج جديد للعالم، تشكّل في القرن العشرين ولم يكتمل بعد. وأخيرًا، تتميز عملية التنظيم النسقي نفسها بما يلي:

- درجة عالية من التعميم.
- تعدد التخصصات.
- شمولية واكتمال المناهج المتبعة عند دراسة ظاهرة التعليم.
- هرمية المعرفة وتعقيدها.
- تسليط الضوء على التناقضات، إلخ .

حدد فهمي ولاغوسكي (1999) الأهداف الأساسية للتناول النسقي في المحيط المدرسي وهي:

- زيادة قدرة الطلاب على التفكير المنهجي .
- زيادة القدرة على رؤية العلاقات بين الأشياء أكثر من الأشياء نفسها.
- زيادة فعالية التدريس/التعلم.
- جعل مادة دراسية كالكيمياء جذابة للمتعلمين.
- تعزيز القدرة على التحليل والتركيب، سعيًا وراء الإبداع، وهو أهم نتاج لنظام تعليمي ناجح.
- تنشئة جيل جديد قادر على العمل البنّاء في مختلف الأنظمة.
- تعزيز القدرة على تطبيق النهج النظامي في أنشطته الخاصة، وحل المشكلات الأكثر تنوعًا وإيجاد حلول إبداعية لهذا يؤكد الباحثون أن تطبيق النهج النسقي يمكن أن يساعد المتعلمين على البدء في فهم العلاقات المتبادلة بين المفاهيم في سياق أوسع. الأمر الجوهري هو كيفية تحقيق التكامل الهادف وضمان تعدد التخصصات في التدريس والتعلم.

يزعم أن النهج النسقي ليس مجرد طريقة مختلفة لوصف ودراسة الأهداف التعليمية، بل هو أحد أهم الأدوات لحل المشكلات المنهجية والنظرية في التعليم.

بتطبيق التحليل النظامي، يُمكننا فهم آلية عمل مختلف الأنظمة بمزيد من التفصيل .ووفقًا لبوتكوس (2007)، ينبغي التعامل مع كل ظاهرة كنظام ثابت، يتكون من عناصر مترابطة، ثم محاولة فهم آلية

عملها كنظام ديناميكي .على سبيل المثال، من خلال التحليل على مستوى الأنظمة التعليمية، يُمكن تمييز بعض الأنظمة الفرعية المهمة للغاية لفعاليتها.

النهج النسقي في التعليم:

يُعدّ النهج النسقي في التعليم تطبيقًا لمنهجية التفكير النظمي الأوسع نطاقًا في مجال التعليم . ويتضمن هذا النهج اعتبار التعليم نظامًا معقدًا ذا مكونات وعلاقات وحلقات تغذية راجعة مترابطة فبدلًا من التركيز فقط على الجوانب الفردية، مثل المعلمين والطلاب والمناهج الدراسية، يُراعي النهج النسقي للنظام التعليمي بأكمله ككل. ويأخذ في الاعتبار التفاعلات والترابطات بين هذه المكونات وكيفية مساهمتها مجتمعةً في الفعالية الكلية للنظام.

مبادئ النهج النسقي:

يستند النهج النظمي في التعليم إلى عدة مبادئ:

1. مُوجَّه نحو الهدف: يبدأ بوضع أهداف واضحة وقابلة للقياس، تتوافق مع احتياجات الطلاب والمجتمع.
2. منهجيّ: يُركّز على النظر إلى النظام التعليمي بشكل شمولي، بدلًا من التركيز على أجزائه الفردية. ويُولى أهمية للتواصل والتعاون بين جميع أصحاب المصلحة في النظام .
3. التحسين المستمر: عملية تحسين مستمرة قائمة على التغذية الراجعة والتقييم، وليست حدثًا لمرة واحدة .

تشمل الخصائص الرئيسية للنهج النسقي في التعليم ما يلي :

1. المنظور الشمولي: يُراعي الترابط بين مختلف مكونات النظام التعليمي، وكيف يُمكن للتغييرات في أحدها أن تؤثر على النظام بأكمله.
2. المكونات المترابطة: يتألف النظام التعليمي من عناصر متعددة مترابطة، بما في ذلك الطلاب، والمعلمون، والمناهج، وأساليب التقييم، والبنية التحتية، والسياسات، وأصحاب المصلحة في المجتمع يُقر النهج النسقي بالترابط والعلاقات بين هذه المكونات.
3. حلقات التغذية الراجعة: يُدرك وجود حلقات التغذية الراجعة، حيث تتدفق المعلومات والاستجابات بين مختلف مكونات النظام .يمكن أن تكون التغذية الراجعة إيجابية أو سلبية، وتؤثر على أداء النظام.

4. الخصائص الناشئة: يُدرك النهج النظامي أن نظام التعليم يُظهر خصائص ناشئة، وهي سمات أو سلوكيات تنشأ من تفاعلات مكونات النظام، ولا يمكن تفسيرها من خلال فهم كل جزء على حدة.
5. اللاخطية: أنظمة التعليم غير خطية، مما يعني أن التدخلات الصغيرة قد تؤدي إلى نتائج مهمة، وأحيانًا غير متوقعة. يُدرك النهج النظامي تعقيد نظام التعليم وطبيعته غير الخطية.
6. الديناميكية والتكيف: يُقر بأن أنظمة التعليم ديناميكية ومتطورة باستمرار. تُعدّ المرونة والقدرة على التكيف أمرًا بالغ الأهمية لمُعالجة الظروف المُتغيرة وتحسين الأداء العام للنظام.
7. إشراك أصحاب المصلحة: يُشدد النهج النظامي على إشراك مختلف أصحاب المصلحة في عمليات صنع القرار، مُدركًا أهمية وجهات النظر والمُدخلات المُتعددة لحوكمة النظام وتحسينه بفعالية.
8. التفكير النسقي: في جوهره، يتبنى النهج النظامي في التعليم التفكير النظمي، وهو عقلية ومجموعة من المهارات تُمكّن الأفراد من فهم العلاقات المتبادلة والأنماط والديناميكيات داخل الأنظمة المعقدة. ويشمل ذلك تحليل النظام ككل، وتحديد مجالات التغيير، ومراعاة الآثار طويلة المدى للقرارات والإجراءات. من خلال تبني النهج النظامي في التعليم، يمكن لصانعي السياسات والمعلمين وأصحاب المصلحة اكتساب فهم أعمق للتعقيدات والتفاعلات داخل النظام التعليمي. ويمكن أن يُسهم هذا المنظور في وضع استراتيجيات أكثر فعالية لتحسين النتائج التعليمية وتعزيز التغيير النظامي الإيجابي.